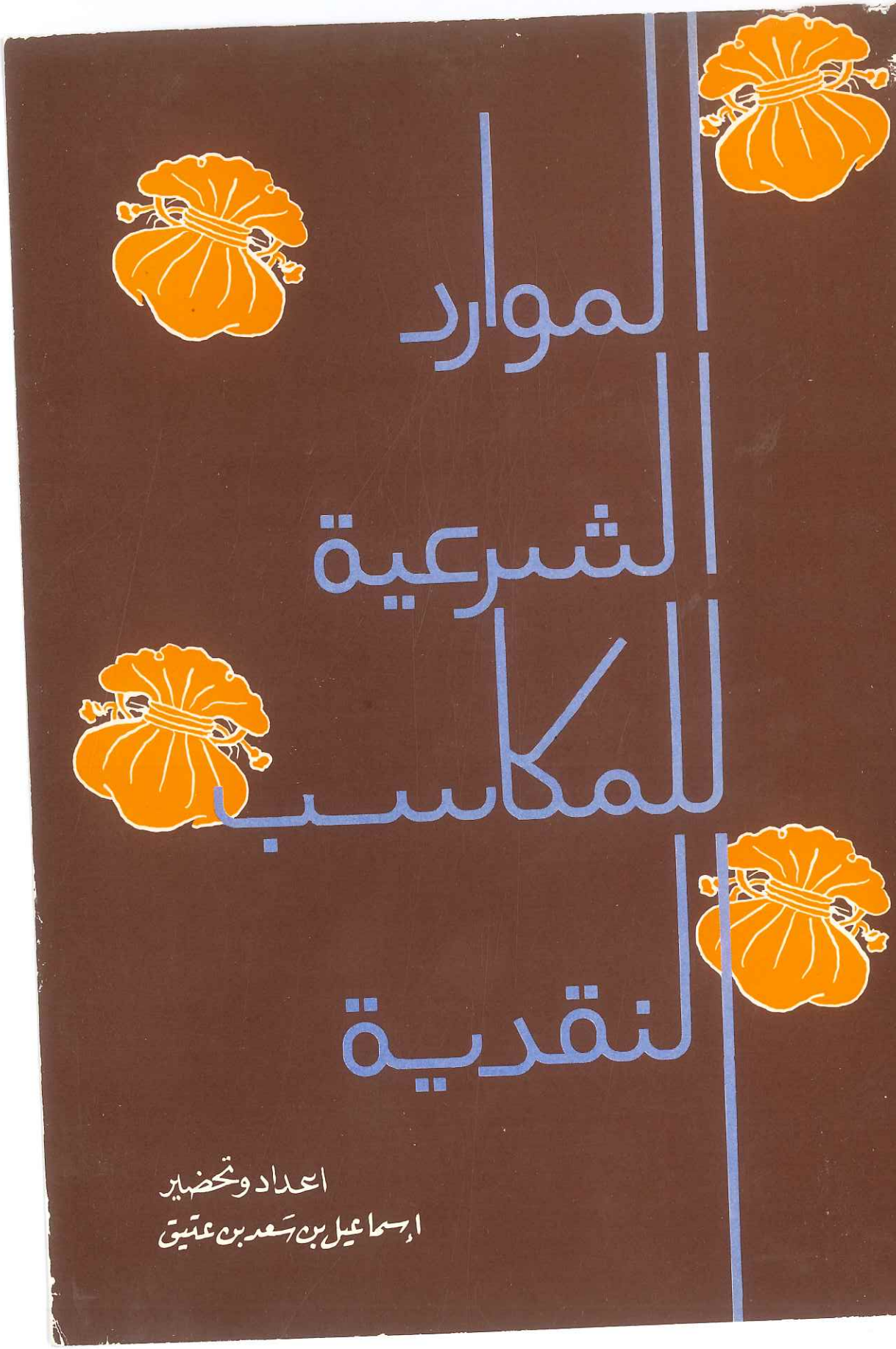
الموارد
الشرعية
للمكاسب
النقدية
اعداد وتحضير
إسماعيل بن سعد بن عتيق

الموارد الشرعية
للمكاسب النقدية

حقوق الطبع محفوظة

١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

الموارد الشرعيّة للمكاسب النقديّة

إعداد وتحضير
إسماعيل بن سعد بن عتيق

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي وهبنا من فضله ومَنَّ علينا بعطائه القائل في محكم كتابه: (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه) وصلى الله على الهادي بدعوته المرشد في منهجه إلى أقوم السبل وأهدى دليل، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد، فهذا بحث موجز حول الموارد الشرعية للمكاسب النقدية في أصول اقتصاد الشريعة الإسلامية جعلته وسيلة لبحثٍ أشمل وسلما لمعارف أكمل في هذا الموضوع الذي أسفر عن ضرورته حاجة الناس والتبس الحق فيه على بعض الأجناس رجاءَ الوصول إلى توضيح المعالم الشرعية في طرق المكاسب النقدية التي هي شغل الناس الشاغل وعملهم الكادح وهم فيها بين ذلك بين خاسر ورابح، نهجت فيه نهج سلف الأمة في إيراد النصوص من الأدلة وجعلته ضمن أبوابٍ خمسة وخاتمة صنفتها على ضوء النصوص، وألبستها بحلل القول بين الإيجاز المقتضب والإسهاب المغتصب وفيما أقوله وأكتبه، الله حسبي وعليه معولي ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

في ١٣/٥/١٣٩٧هـ

إسماعيل بن سعد بن عتيق
ليسانس جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بـاب
الحث على العمل والكسب

مما هو مسلم به تفـاوت طبقـات الناس بتفاوت أعمالهم ومقاصدهم ولذا فالعمل هو العامل الأكبر في تقويم الذوات وهو القيمة التي يمكن الحكم بها على المقوم بإحسان أو إساءة (فقيمة كل الناس ما يحسنونه).

وإيماناً من المسلم بما جاءت به شريعته وبإيحاءٍ من الفطرة السليمة ومتطلبات الحياة البشرية ينطلق المسلم في ميادين العمل ليرى مكانته في مجتمعه وليحل محل الصدارة فيما يقوله ويعمله والقرآن الكريم يطلق القول في الحث على العمل ويدعو إليه كمبـدءٍ لإنـطلاق البشرية من هوة الـركود ومسايرة الحيوان العجماوي. قال تعالى: (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهـادة فينبئكم بما كنتم تعملون)، فالعمـل ضرورة من ضروريات التمـدن البشري وحـاجـة ملحـة في نفس الإنسان، فالحيوان الناطق جنس الإنسان هو المهيمن على غيره من المخلوقات وصدق الله إذ يقول: (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)، وقد كلفـه الله ليحقق معنى إنسانيته ويرفع من شأن نفسه بالتمايز عن غيره من سائر المخلوقات التي هي في حكم المسخر له (ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات ومـا في الأرض وأسبـغ عليكم نعمـه ظاهـرة وبـاطنة) لقمان ـ٢٠ ـ. وقد ينحط بالإنسان عمله أو قدرته ومواهبه ليصبح هو الآخر مسخر لغيره وهذه هي حكمة البـاري تعـالى في تفـاوت المـدارك واختلاف المقاصد وتباين الأحوال في الأقوال والأعمال (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجـات ليتخـذ بعضهم بعضـا سخـريا ورحمـة ربـك خير مما يجمعـون) الزخرف ـ٣٢ ـ. ولقد أحسن الشاعر في قوله:

النـاس للنـاس من بدو وحـاضرةٍ بعض لبعضٍ وإن لم يشعروا خدم

ولكن الإنسان على العموم هو خليفة الله في الأرض وله حق الإسهام في عمارتها واستثمار خيراتها والانتفاع بمكنوناتها وخزائنها لا يضايقه فيها سوى أخيه الإنسان ولا ينافسه إلا ذوي القدرة والطاقة على التملك والإنتاج (وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض ورفع بعضكم فوق بعضٍ درجات ليبلوكم فيما آتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم) الأنعام ـ٦٥ ـ، (هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتاً ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا) فاطر ـ٣٩ ـ.

والعبرة في الأعمال هو الإحسان والإتقان وجودة الإنتاج وما كان نفعه أعم وضرره أقل، قال تعالى: (إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً) وعلى هذا يترتب الجزاء الأخروي عند الله تعالى لمن آمن بالله واليوم الآخر (إني لا أضيع عمل عاملٍ منكم من ذكر أو أنثى) غير أنه لا يعزب عن ذهن المسلم مصاحبة النية الصالحة في جميع الأعمال حيث إنها أساس الجزاء والثواب، بل والعقاب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى» فقد يبلغ المسلم بنيته مالم يبلغه بعمله، والإخلاص شامل لكافة الأعمال والأقوال والمقاصد، قال عليه الصلاة والسلام: «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله تعالى إلا أجرت عليها حتى ما تضع في فِّي امرأتك»، فقد سأل صحابة رسول الله الرسول عليه الصلاة والسلام حينما قال وفي بضع احدكم صدقة، قالوا يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر، فقال عليه الصلاة والسلام: «أرأيتم لو وضعها في حرام أيكون عليه وزر، فقالوا نعم، فقال فكذلك إذا وضعها في حلال».

كما أن في الدنيا جزاءٌ للعامل على عمله يتعدد بتعدد جوانبه ورغبات العامل فيه فقد يكون الجزاء المعنوي في نفس العامل أشد وقعاً وأعظم أثراً من الجزاء المادي فالرضى والطمأنينة والقناعة والسرور والراحة النفسية ومحاسبة الضمير والإيمان بالإنتاج وخدمة الوطن والجنس والتفاؤل للمستقبل كلها معانٍ سامية يلقاها العامل جزاء عمله عاجلاً، ولعل الآية الكريمة تشمل هذه المعاني بدون تكلف: (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم

بأحسن ما كانوا يعملون) وفي حسن العمل تتفاوت الدرجات، قال تعالى: (ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافلٍ عما يعملون) الأنعام -١٣٣-.

وفي القرآن الكريم ما يشفي ويكفي في هذا الباب غير انه من باب الإحاطة والعلم نذكر طرفا من الأحاديث النبوية:

أ - يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العمل عبادة».
ب - «ما أكل أحدٌ طعاماً قط خير من أن يأكل من عمل يده».
جـ - «من أمسى كالاًّ من عمل يده أمسى مغفوراً له يوم القيامة».
د - وقبل الرسول صلى الله عليه وسلم يداً ورمت من كثرة العمل قائلا: «هذه يدٌ يحبها الله ورسوله».
هـ - ويقول عليه الصلاة والسلام ما معناه: «لأن تأخذ حبلاً فتحتطب وتبيع خير لك من أن تسأل الناس أعطوك أم منعوك».
و - ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى رجلاً في المسجد كثير الصلاة فقال من ينفق عليك، قال: أخي، فقال أخوك أعبدُ منك.
ز - ويقول رضى الله عنه: «والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال وجئنا بغير عمل فهم أولى بمحمدٍ منا يوم القيامة».

وبعـــد:

فهذا باب في الحث على الكسب والعمل والجد والاجتهاد وهو ما تدعو إليه شريعتنا في مقدمة الأعمال «احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن، ولا تقل لو أني فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا، ولكن قدر الله وما شاء فعل». «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير» ولا يفوتنا أن نشير إلى أن تعـدد جوانب الأعـمال يتعـدد بقـوة الفكر والإرادة الصادقة والعزيمة الوثابة والطموح الشامخ وحب الاستعلاء بالطرق المشروعة وعدم الرضى بالقناعة بالدنو والاستصغار وهذا ما كان يأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة عند البيعة ألا يسألوا الناس شيئاً تعبيراً عن معنى الآية الكريمة: (لا يسألون الناس

إلحافا)، وهذا غاية في كمال التوحيد وقصر السؤال على الله وحده:

«الله يغـضـب إن تركـت سؤالـه وبـني آدم حين يُسـأل يغـضـبُ

فإلى العمل العمل فيه يعود الأمل ويتجدد الطموح وتنال الأمة مراق الصعود والسعادة.

بـاب

المال مال الله والبشر مستخلف فيه

يجب أن يعرف المسلم أن هذا المال الذي أخذه وكسبه هو مال الله الذي وهب له قوة الكسب كما ركب في طبعه غريزة التملك وحب العمل وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول: «أصدق الأسماء حارث وهمام».

والاقتصاد الإسلامي اقتصاد عقائدي مرتبط بتعليمات سماوية وقوانين كونية هي في الحقيقة جزء من التعليمات الربانية ضمن إطار الشريعة الإسلامية السمحة التي تعنى بالمسلم من جوانبه الثلاث العقيدة والشريعة والعبادة أو بمعنىً آخر الشعائر والشرائع أو كما يقولون: الروح والمادة والغيب والمشاهدة، وعلى هذا فلا بد من أمور ثلاثة ترتبط ارتباطاً كلياً بالاقتصاد الإسلامي وهي:

أ ـ الإيمان بالله وأن الملك له يورثه من يشاء.

ب ـ المحاسبة في الإنفاق وطريقة تصريف المال.

جـ ـ إباحة وسائل الكسب وطرق تملكه.

وهذه العناصر الثلاثة هي في الحقيقة موضوع البحث، وهي ما نتناولها تحت أبوابه مع الإلتزام بما أوضحته في المقدمة من خطة البحث.

بـــاب
الإيمان بأن الملك لله يورثه من يشاء

معنى ذلك القناعة والرضى والتسليم للأمر الواقع وفي ذلك سلامة النفوس من الحسد وتنافسها في غير المشروع (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعضٍ درجات) وعلى البشر أن يطلبوه من الله فهو الرزاق المعطي (قل من يرزقكم من السموات والأرض، قل الله) (هل من خالق غير الله يرزقكم من السموات والأرض) (فابتغوا عند الله الرزق) فإنه جل شأنه هو الذي يمنح كل فرد ما في يده من هذا الملك الواسع (والله يؤتي ملكه من يشاء) كما أنه سبحانه يقسم العيش على عباده وهو أعلم بالصالح لهم، (إن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) فقد يمنع بحكمته العلية وقدرته الحكيمة الجلية (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء)، وفي الحديث الشريف: «إن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يردهُ كراهية كاره» فعلى هذا يلزم المسلم أن يستسلم لله رب العالمين وأن يعتقد أنه ما كسب شيئاً بقدرته الخاصة بل هو من الله وإلى الله وهو كالحامل للوديعة والأمانة الساعي في إصلاح ما استؤمن عليه:

وما المال والأهلون إلا ودائع ... ولا بد يوماً أن ترد الودائع

وبهذا الإيمان المطلق تستوي لدى المسلم غريزة التملك فلا تفريط في الكسب ولا إفراط في العمل، بل يتمثل بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن وإذا أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا فإن لو تفتح عمل الشيطان». ونسبة التملك للإنسان نسبة إضافية تشريفية والحق أن الملك لله (لله ملك السموات والأرض وما فيهنّ وهو على كل شيء قدير) (الله خالق كل شيء)، فمبدع الأشياء هو مالكها والقادر على فنائها وهو الموجد لفعاليتها بنفع أو ضرر وقد دعا الإسلام في منهجه وتعليمه إلى حسن الاعتدال في التملك وحرم أشد التحريم شمول حب التملك

سويداء القلب وهيمنته على المشاعر والإرادة الإنسانية وقد ورد في ذلك النصوص الكثيرة في الزجر والنهي عن ذلك، من ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش». ولما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وصحابته على تيسٍ أسكٍ ميت، قال عليه الصلاة والسلام: «أيكم يحب أن يكون له هذا بدرهم؟ فقالوا يا رسول الله والله لو كان حيًّا ما يحب أحدنا أن يكون له بدرهم فكيف وهو ميت، فقال عليه الصلاة والسلام: والله للدنيا أحقر عند الله من هذا عندكم، أو كما قال عليه الصلاة والسلام». وكل ما يرد من النصوص في الزهد في الدنيا والحث على التخفف منها هو من قبيل محاربة الجشع والطمع والهلع واستحواذ الدنيا أو حب الدنيا على القلب والاستمساك بها وجعلها غاية في الحياة ومقصدا أساسيا من مقاصد الأعمال التي قد تؤدي إلى عبوديتها ومن ثم يتحول المسلم إلى الشرك بالله وتعظيم غيره وهذا هو المحور الذي تدور عليه مبادىء الاقتصاد المعاصر والحضارة الغربية التي جعلت المادة وحدها غاية في الحياة ونهاية لمآربها وطموحها. أعاذنا الله من الكفر والفسق والفجور والخذلان ومسايرة أرباب الكفر والعصيان.

باب
المحاسبة في الانفاق وطريقة تصريف الأموال

وهذا باب يرعاه الاسلام حق الرعاية فقد فرض الله على البشر أن ينفقوا من مال الله الذي آتاهم واستخلفهم فيه (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) والمنة في هذا لله وحده (وماذا عليهم لو آمنوابالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله)، ويكرر القرآن الكريم هذا المعنى في غير ما آية:

أ ـ قال تعالى: (وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت).

ب ـ (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة) (البقرة ـ ٢٥٤)

جـ ـ (قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية) (ابراهيم ـ ٣١)

د ـ (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) (البقرة ـ ٢)

فعلى هذا فالقرآن يدعو إلى البذل والانفاق في وجوه البر وطرق الخير وعلى كل أن ينفق من ماله الذي آتاه الله، كل بحسبه (ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها سيجعل الله من بعد عسر يسراً)، (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) فإذا كان الله قد فضل بعض الناس على بعض في الرزق فلينفقوا وليعلموا أنه المُعطىٰ من الله قال تعالى: (والله فضل بعضكم على بعضٍ في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون) (النحل ـ ٧١)

وطرق الانفاق المشروعة نوعان، إنفاق فريضة وإنفاق تطوع، وإنفاق الفريضة نوعان: إنفاق في سبيل الله وإنفاق على ذوي الحاجة.

فأما الانفاق في سبيل الله فهو فريضة واجبة لاعلاء كلمة الله والدفاع عن دينه ونشر عقيدته واقامة أحكامه وحدوده وحماية دولته المنفذة لشرعه وتعاليمه، وللحاكم المسلم أن يأخذ من المال ما هو في صالح الدولة والجماعة لاعلاء كلمة الله إذا لزمت الحاجة ودعت الضرورة، لذلك، فكما يكون الجهاد في سبيل الله بالنفس فهو كذلك بالمال أوبهما معاً قال تعالى: (انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) (التوبة ـ ٤١)

وجعل الله الجهاد بالمال والنفس علامة الايمان (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) (الحجرات ـ ١٥). ولقد اشترى الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة إن هم جاهدوا بها وبذلوها في سبيل الله (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم

بأن لهم الجنة) وفي هذا المجال تنافس صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال عليه الصلاة والسلام لعثمان بن عفان حين جهز جيش العسره: «ما على عثمان ما فعل بعد اليوم» وهذه غاية في كمال الإيمان إذا بذل المسلم غاية ما يحب نفسه وماله في سبيل الله ولاعلاء كلمته ونصرة دينه.

وأما الانفاق على ذوي الحاجة فإنه يتضمن أموراً وهي الزكاة، الخراج، الضرائب، الصدقات الموسمية، الكفارات، واجبات التكافل الاجتماعي.

١ ـ فالزكاة أحد أركان الاسلام ومطهرة للمال وهي حق للفقراء في مال الأغنياء (وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم)، يخرجها كل سنة مما تنتجه الأرض من الحبوب والثمار ومن الأنعام وعروض التجارة بالشروط والمقادير الموضحة في كتب الفقه، والزكاة لا تكون إلا عن ظهر غنى، والعلة في فرض الزكاة في الأموال هي نماؤها، فإن كل مالٍ استجد ووقع فيه النماء تجب فيه الزكاة ولا تؤخذ الزكاة من الأموال التي لا تعد نامية حقيقة أو تقديراً وهي الأموال التي تعد للانتفاع الشخصي كدور السكن وأدوات المنزل وآلات الصناعة والابل والبقر المتخذة للعمل وحلي النساء التي للزينة مع خلافٍ في ذلك.

ونصاب الزكاة بصفة عامة بواقع اثنان ونصف بالمائة من رؤوس الأموال المنقولة كالنقود وعروض التجارة، وتقدر بستة وخمسين (٥٦) ريالاً سعودياً نصاب الفضة، وأحد عشر (١١) جنيها نصاب الذهب بالجنيه السعودي.

وقد تولى الله مصارف الزكاة في قوله تعالى: (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والمؤلفة قلوبهم والعاملين عليها وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل).

٢ ـ الخراج: وهو ضريبة محددة المقدار مفروضة على بعض الأراضي الزراعية كما فعل عمر رضى الله عنه في ضريبة الخراج على أرض العراق حتى لا يعود المال إلى عدد قليل من الأفراد.

٣ ـ الضرائب الدائمة أو المؤقتة التي يفرضها ولي الأمر على من شاء عندما تدعو الحاجة إليه وهي زيادة على الزكاة والخراج.

٤ ـ أما الصدقات الموسمية: فكزكاة الفطر التي يخرجها رب الأسرة يوم عيد الفطر عن نفسه وعمن يعوله، وكذا الضحايا والهدي التي تهدى في الحج على من وجبت عليه.

٥ ـ والكفارات: فصد بها الاسلام التكفير عن مرتكب الجرائم والآثام التي يكثر حدوثها إذ جعل كفارتها إخراج الأموال والصدقات على الفقراء ككفارة الحنث في اليمين وكفارة الظهار، وكفارة الإفطار في رمضان وكفارة ما يحدث من مخالفات في مناسك الحج.

٦ ـ أما واجبات التكافل الإجتماعي وهو ما يمكن أن يطلق عليه الإنفاق التطوعي وهو من محاسن الاسلام الذي يمثل كفالة المعيشة الكريمة لكل فرد بما تتطلبه الحياة الضرورية عملاً بقوله تعالى (إنما المؤمنون اخوة)، وقوله عليه الصلاة والسلام: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً». وقد حل الاسلام مشكلة التكافل الاجتماعي قبل أن تفكر الدولة الرأسمالية والشيوعية في طرح هذه المشكلة وهو حق مقدس يلتزم به كل مجتمع اسلامي مطهر للنفوس من دنس الأثرة والأنانية، . . وتأكيد لحق الله الذي يعلو من فوق كل الحقوق. وفيما يلي بعض النصوص التي تدفع بالمسلم إلى التكافل الاجتماعي والتعاون الأخوي في سبيل حياة سعيدة ينعم بها أفراد المسلمين وجماعاتهم وهي:

أ ـ (ويطعمون الطعام علي حبه مسكيناً ويتيمًا وأسيراً إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً).

ب ـ (والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثروا على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون).

جـ ـ (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا ولذي القربى واليتامى

والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم).

ومن الأحاديث قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أ - «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

ب - «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه».

جـ - «أيما أهل قرية أمسوا وفيهم جائع فقد برأت منهم ذمة الله ورسوله».

د - «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره».

وهـذا باب فتحـه الاسلام على مصراعيه لمن أراد أن يلج فيه وهو عنوان التكـافـل الاجتماعي بين المسلمين أو ما يسمى بالعدالة والمساواة وهو مظهرٌ من مظاهر شكر الله على عبده بما أنعم به عليه من فضله ومنَّ عليه من إحسانه وقد رسم القرآن الكريم لذلك خطاً مستقيمًا بين الإعتدال والتفريط فقال تعالى: (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً).

هذا هو العدل الوسط والمقياس الصحيح بين الإنفاق والإمساك. ولما أراد بعض الصحابة أن يوصي بكل ماله أو بنصفه قال عليه الصلاة والسلام: (الثلث والثلث كثير، لأن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس).

هذا وفي الباب نصوص وآثار لا يتسع لها المقام، وفيما أوردته كفاية إن شاء الله تعالى.

باب
إباحة كسب المال وطرق تملكه

يتمثل الكسب والإنتاج في عنصرين هامين هما: العمل وتوظيف رأس المال.

أ ـ أما العمل فقد تقدم الكلام عليه، والذي هو الجوهر في نظر الاسلام والخاص بجهد الإنسان وحرصه على تكريم هذا الجهد وتكريسه في منفعة المجتمع، والعمل المنظم هو الذي يحيطه الإسلام بهذه الرعاية وهو الذي يحقق سير الإنتاج ومضاعفته.

ب ـ ورأس المال لا يعتبر عنصراً من عناصر الإنتاج إلا إذا شارك عنصر العمل في الإنتاج لأن المال لا يلد المال في نظر الإسلام فلا بد من تكامل العنصرين، العمل ورأس المال.

ورأس المال يشمل الأموال النقدية وكذلك رؤوس الأموال العينية كالمباني والآلات ويعد من قبيل رأس المال، الأرض والماء والحيوان والمناجم المسخرة لكل عباده، إلا أن المواد الطبيعية قد تكون مشاعة لا تختص بملكية أحد بل هي للجماعة المسلمة عامة، ومثلها ما تحت التراب كالحديد والفحم والبترول وكذا مياه البحار والبحيرات والأنهار والقوى الطبيعية، كقوة انحدار المياه وقوة الرياح التي يمكن تحويلها إلى طاقة تستخدم في الإنتاج.

جـ ـ وفي توظيف رأس المال وشغله في التجارة ثلاثة وجوه:

١ ـ التجارة الشخصية: وذلك بأن يدير التجارة من وظف المال فيها بدون أي مشاركة.

٢ ـ المشاركة وصورتها أن يوظف رجلان و أكثر رأس المال في تجارة يشاركون في تصريف التجارة كما يشتركون في الربح والخسارة وذلك ما يسمى بشركة العقود.

٣ ـ المضاربة: وتتمثل في فريقين من الناس:

- فريق يحمل عبء جمع رأس المال لتوظيفه في التجارة.
- فريق يتكفل بترويج التجارة وبذل الجهد في توسيع نطاقها.

وللمضاربة شروط نجملها في ما يلي:

أ ـ أن يكون رأس المال نقداً رائجاً.

ب ـ أن يكون رأس المال معلوماً عند العقد.

جـ ـ أن يكون مسلّمًا إلى المُضارِب.

د ـ أن يكون نصيب المُضارِب من الربح معلوماً حال تحققه.

هـ ـ التزام المضارب لما يتطلبه عرف التجارة.

و ـ عدم التزام العامل بشيء من التلف الذي لا بد لهم فيه لأنه أمين.

فهذه بعض الصور المشروعة لتوظيف رأس المال وشغله بالتجارة مما يحقق ربحاً حلالاً وكسباً طيباً ومصدراً شرعياً مباحاً، وقد أباح الاسلام بعض العقود التي تحقق مصلحة ولا ينجم عنها مفسدة. وهي تعتبر مورداً من موارد المكاسب الشرعية للمال الحلال كذلك، منها:

١ ـ **بيع التقسيط**: وهو الشائع في وقتنا هذا، والذي جرى العمل به لتيسير معاملات الناس، وهو بيع البائع السلعة مدفوعة الثمن فوراً بسعرٍ ومقسطة الثمن أو مؤجلة بسعر أعلى منه، وهذا جائز ما لم تكن بيعتان في بيعة، لورود النهي عن ذلك.

٢ ـ **بيع السلم**: وهو بيع سلعة غير موجودة عادة عند البائع وقت العقد على أن يتم التسليم في موسم الحصول أي وقت الحصاد أو الجذاذ، فالسلم شراء آجلٍ بعاجل، وهو جائز بشروطه الخمسة:

أ ـ قبض رأس المال بعد بيانه قبل الافتراق في مجلس العقد.

ب ـ أن يكون محل العقد موجوداً في الأسواق وقت العقد وأن يستمر وجوده إلى وقت وفائه.

جـ ـ أن يكون مؤجلاً.

د ـ بيان جنس المسلم كيلاً ووزناً وعداً.

هـ ـ بيان مكان الإيفاء.

وبعد هذا يمكن أن يخلص من هذا كله بأن الموارد الشرعية للمكاسب النقدية تتمثل بإيجاز في:

١ ـ العمل وهو قوة الإنتاج.

٢ ـ توظيف رأس المال في التجارة والشركة والمضاربة.

٣ ـ ممارسة العقود المشروعة كالسلم وبيع التقسيط والتأمين.

فهذه موارد الإنتاج التي ينبنى عليها جلب المصالح ودفع المفاسد في النظام الاقتصادي السليم، ولا يسعنا في ختام هذا البحث أن نشير إلى أنه ما من حكم إلا ويقترن به حكمة وعله وباستقراء الكتاب والسُنة يظهر ذلك جلياً:

أ ـ قال تعالى: (وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فللّه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم).

ب ـ (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله).

جـ ـ (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تفلحون).

وفي السُنة لما نزلت آية الاستئذان قبل دخول البيت لم يفهم بعض المسلمين القصد من هذا الحكم، فجاء رجل يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نظر من حجر الرسول، فعنفه وقال له: (إنما جعل الاستئذان لأجل البصر).

وقد أجمع الفقهاء على أن الغاية الكلية بأحكام الشريعة هي رسم صورة للحياة الإنسانية الكاملة تتحقق فيه مصالح العباد كافة دون تمييز، وهذه ما تسمى بالمصالح الكلية وهناك مصالح جزئية، إما ضرورية وإما حاجية وإما تحسينية، وقد جاءت الشريعة لحفظ هذه الفئات الثلاث بالأحكام الشرعية والأدلة العقلية والنقلية.

هذا واللّه الموفق للصواب والهادي إلى سواء السبيل.

الخاتمة

وبعد، فإن الصراع الطبقي والقوة العاتية تتمثل في الاستبداد والظلم والأنانية وحب الذات ورغم محاولة المباديء الشرقية والغربية لتخفيف هذه الأزمة التي مُني بها الإنسان والتي سودت صفحات تاريخه بمخازي الأمور وفضائح الأعمال إلا أنها لم تفلح في ذلك ولم تزد الطين إلا بله فمتى كانت دول الشرق والغرب مصدر تكريم للإنسان وجهة تشريع لنظمه ومناهج حياته ويمكن القول وبلا تعسف أن البيئات التي ارتفعت برودتها قد أكسبت الجنس البشري فيها برودة في طبعه وتبلداً في إحساسه، كما أن أهل المناطق الحارة غاية في الحماس والإندفاع والثورة الطائشة مما لا يدع مجالاً في القول بأن كلا الطبيعتين غير معتدلتين ولا متلائمتين لقيادة البشر.

واللّـــه أعلـــم وصلى اللّـــه على محمـــد

بسم الله الرحمن الرحيم

الملحق في تخريج الأحاديث في رسالة المكاسب الشرعية.

١ ـ حديث رقم ١ إنما الأعمال بالنيات رواه البخاري كتاب بدأ الوحي باب ١ ص ٢ جـ١ ورواه مسلم كتاب الامارة باب ٤٥ حديث ١٩٠٧ ص ١٥١٥ ص٣.

٢ ـ حديث إنك لن تنفق نفقة الخ ورواه البخاري كتاب الإيمان باب ٤١ ص ٢٠ الجزء الأول ورواه بمعناه مسلم في كتاب الوصية باب ١ ص ١٢٥٠ جـ٣.

٣ ـ قوله ﷺ أرأيتم لو وضعها في حرام الخ رواه الإمام أحمد الجزء الأول ص ١٧٨.

٤ حديث ما أكل أحد قط خير من أن يأكل من عمل يده رواه البخاري كتاب البيوع باب ١٥ ص ٩ جـ٣.

٥ ـ حديث لأن تأخذ حبلاً وتحتطب وتبيع الخ رواه البخاري كتاب الزكاة باب ٥٠ ص ١٢٩ جـ٢ ورواه أحمد جزء واحد ص ١٦٤.

٦ ـ حديث إحرس على ما ينفعك وأستعن بالله وحديث المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف الحديثان حديث واحد أخرجه الإمام مسلم كتاب القدر باب ٨ حديث ٢٦٦٤ ص ٢٠٥٢ جـ٤ ورواه أحمد جزء ٢ ص ٣٦٣.

٧ ـ حديث أصدق الأسماء حارث وهمام أبو داود وكتاب الأدب باب تغيير الأسماء ص ٣٢٧ جزءه.

٨ ـ حديث إحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن تقدم.

٩ ـ تعس عبد الدينار تعس عبدالدرهم تعس عبدالخميصة الخ رواه البخاري في كتاب الجهاد باب ٧٠ ص ٢٢٣ جـ٣ ورواه ابن ماجه في كتاب الزهد باب في المكثرين حديث ٤١٣٥ ص ١٣٨٥ .

١٠ ـ حديث لما مر النبي ﷺ وصحابته على تيس أسك رواه مسلم في كتاب الزهد والرقاق في حديث ٢٩٥٧ ص ٢٢٧٢ جـ٤ .

١١ ـ ما على عثمان ما فعل بعد اليوم رواه الإمام أحمد جزءه ص٦٣ والترمذي في كتاب المناقب باب في مناقب عثمان بن عفان ص ٦٢٦ حديث ٧٠١ .

١٢ ـ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا رواه البخاري في كتاب الصلاة باب ٨٨ ص ١٢٣ جـ١ . رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب ١٧ حديث ٢٥٨٥ ص ١٩٩٩ جـ٤ .

١٣ ـ لايؤمن أحدكم رواه البخاري في كتاب الإيمان باب ٧ ص٩ جـ١ ورواه مسلم في كتاب الإيمان باب ١٧ حديث ٤٥ ص٦٧ جـ١ .

١٤ ـ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه رواه البخاري في كتاب الآداب باب ٣١ ص٧٩ جـ٧ ورواه مسلم في كتاب الإيمان باب ١٩ حديث ٤٧ ص٦٨ جـ١ .

١٥ ـ حديث أي أهل قرية أمسو وبينهم جائع فقد برأت منهم ذمة الله ورسوله رواه الإمام أحمد جـ٢ ص٣٣ بلفظ أبي أهل عرصة .

١٦ ـ خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه رواه الترمذي في كتاب البر والصلة باب ما جاء في حق الجار حديث ١٩٤٤ ص ٣٣٣ جـ٤ ورواه الإمام أحمد جزء ٢ ص١٦٨ .

١٧ ـ إنما جعل الاستئذان من أجل البصر رواه البخاري في كتاب الاستئذان باب ١١ ص١٣٠ جزء٣ ورواه مسلم في كتاب الآداب باب ٩ حديث ٢١٥٦ ص١٦٩٨ جزء٣ .

١٨ ـ من أمس كالًّا من عمل يده أمسى مغفورًا له رواه الطبري في الأوسط وضعَّفه المنذري في الترغيب والترهيب .

١٩ ـ قبَّل الرسول ﷺ يدًا وَرِمَفتْ من كثرة العمل قائلًا هذه يدًا يحبها الله رواه الخطيب في تاريخ بغداد بلفظ هذه يد لاتمسها النار أبدًا وأورده ابن الجوزي في الموضوعات في جزء م ص٢٥١ وفيهم محمد بن تميم الغرياني كذاب ورواه السيوطي في اللآلىء .

٢٠ ـ إن رزق الله لايجر حرص حريص قطعة من حديث رواه الطبراني عن ابن مسعود وضعفه المنذري ولفضه لاترضينَّ أحدًا بسخط الله ولاتمدحن أحدًا على فضل الله ولا تذمنَّ أحدًا ما لم يؤتك الله .

٢١ ـ حديث العمل عبادة (لم نجده في ذكر من كتب المراجع في الكتب الصحيحة) .

* * *

تم فسح هذا الكتاب
في المملكة العربية السعودية
وزارة الاعلام ـ الإعلام الداخلي
المديرية العامة للمطبوعات ـ فرع مكة المكرمة
بتاريخ ٣ جمادى الثانية ١٤٠٦هـ ـ وبرقم ٥/٦٦٣